احتفالية العطاء العلمي للأستاذة الدكتورة نادية مصطفى

2013/4/13

كلمة أ.د.بهجت قرني:

السلام عليكم

يشرفني أن أكون موجودا في هذه المناسبة، وأعترف لكم أن الدعوة كانت مفاجأة سارَّة لي. ليس لي اتصال مباشر مع د.نادية، ولكن كان هناك ما نسميه تواصل عن بعد، وهذا التواصل لأسباب ذاتية وأسباب موضوعية. الأسباب الذاتية تتمثل بالأساس في أن مشروع الدكتورة نادية جاء من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وهناك اهتمام خاص وضعف أساسي بالنسبة لكلة الاقتصاد. بالإضافة إلى اهتمامي الذاتي –مع دائرة ضيقة زملائي بدأت تتسع الآن– بما يسمى Critical International Relations Theory (نطرية العلاقات الدولية النقدية)؛ حيث نمثل مجموعة متفهمة للنظرية الأمريكية ومستوعبين لها ولكن غير راضين عن عملية التجزئة في علم المفترض أنه يعكس العالم، وبالتالي كان لدينا توجه نقدي، وأثبت الزمن رفض عملية البتر والتجزئة في علم لابد أن يكون –بحكم التعريف– علما عالميا، ومن ثم كان اهتمامي بمشروع الدكتورة نادية. وأعتقد أن بعضنا نجح في إقناع أساتذته بالاهتمام بهذا الأمر. فهذه الأسباب الذاتية لاهتمام بمشروع د.نادية قبل أن أعرفها أو أن أقابلها.

والأسباب الموضوعية أقوى؛ أولها استمرارية المشروع، فقد صدر في اثنى عشر مجلدا (المقصود هنا مشروع العلاقات الدولية في الإسلام) بطريقة سلسة ومنظمة، في منطقة المشاريع لا تستمر فيها. ثانيا أن المشروع يشتبك مع أمهات الكتب في العلاقات الدولية والتيارات الفكرية المختلفة، لذلك احترمت المشروع لأنه لا يقوم على إقصاء أو استبعاد مسبق؛ فقائمة المراجع تعكس قراءة غنية وموضوعية لأعمال الكثير من علماء أمريكا الشمالية، وهي في الوقت ذاته قراءة نقدية مما أعطى مصداقية للمشروع.

ثالثا المشروع يتعدى الجدل العقيم بين التنظير في العلاقات الدولية والتاريخ، وهو جدل كبير في الغرب بين الأمريكان الذين لا يهتمون بالتاريخ ويجهلونه والأوربيين الذين اختزلوا أحيانا العلاقات الدولية في التاريخ، فمشروع د.نادية يتعدى هذا الجدل ويحاول إدراك التاريخ في التنظير، ليس التاريخ كسرد للأحداث وإنما باعتباره فلسفة ومنهجا. وهذا أمر نحتاجه، فعند دراستنا للنظام العالمي لا يمكن أن نقتصر على البعد الآني وإنما لابد من الرجوع لجذور هذا النظام.

رابعا: إنه في مواجهة التطرف والتشدد الوضعي والتجريبي يتحدث هذا المشروع عن القيم والناحية المعيارية والعقيدية، وذلك قبل الاهتمام الحالي بهذه الأبعاد.

خامسا: الاعتراض على الاقتصار على الدولة في الفاعلين الدوليين state centric؛ فالمشروع يقترح مستوى تحليل مختلف وهو "الأمة" بما تتضمنه من دلالات تتعلق بالجوانب المعيارية والجماعة..

هذه العوامل الموضوعية جعلتني أحترم الدكتورة نادية وأتشوف للتعامل معها.. وبعد اللقاء المباشر مع د.نادية حدث تواصل سريع معها..

وأخيرا من الأمور التي دفعتني لاحترام هذا المشروع، مع بعض الاختلافات، التوجه النقدي والعلمي للمشروع. وقد تكون هذه أهم ميزة لهذا المشروع؛ أنه يقنعك أن تعيد النظر في عدساتك الفكرية وأن تفكر بطريقة مختلفة، وأظن أن هذا الأمر أهم من التنظير وأهم من النواحي المنهاجية، وهي الناحية المعرفية والفلسفية وهي من أهم إسهامات أي مشروع علمي؛ ان تفسر الأحداث بطريقة مختلفة. فهذه الناحية النقدية موجودة ولكن دون أن تقدم أي تنازلات من الناحية العلمية. وقد لفت نظري اقتباس/ مقولة في المشروع "لا يعني الحديث عن نظرية أو فكر إسلامي إضفاء قداسة من أي نوع على ذلك البناء الفكري، وأن استنبط من مصادر مقدسة ذلك لمجرد الحديث عن أي معالجة بشرية للنصوص أو المرجعيات ينقل البحث على الفور إلى مناطق اجتهاد ومجال تعدد واختلاف وجهات النظر" تحية لهذا.

حدثت زملائي كثيرا عن مشروع الدكتورة نادية. وذكرت أننا إذا أردنا تحقيق نوعا من التنوع وعولمة مجال العلاقات الدولية؛ فيجب أن ننظر إلى هذا المشروع بجدية واهتمام وترجمته إلى

عدة لغات وترجمة علم العلاقات الدولية عامة. فعلم العلاقات الدولية بحاجة إلى مشروع كمشروع دكتورة نادية وتلاميذها؛ ليتجاوز المرحلة الجزئية في النظرة إلى العالم.

اختم حديثي بكلمة بسيطة وهي أن هذه الاحتفالية لد.نادية مهمة وعلى استحقاق ولكني اعتقد أن هذه الاحتفالية للمشروع ككل وللنظرة النقدية في العلوم الاجتماعية من توجه مختلف، ولذلك هذا يهمنا جميعا مهما كانت اختلافاتنا الجزئية بالنسبة للمشروع سواء في العلاقات الدولية، السياسات المقارنة، الاقتصاد الإسلامي، وبالتالي السؤال المهم كيف نكافئ هذا الجهد والجهاد العلمي للدكتورة نادية؟ فهذا هو السؤال الأساسي فنحن نحتفى بها اليوم، ولكن ماذا بعد؟ أظن أنه من المهم أننا نقوم بتشجيع جيل من الشباب لمواصلة المسيرة من خلال برنامج إجرائي تنفيذي يضمن استمرار المسيرة ويدعمها.

خصوصا وأن الآن توجد نظريات كالبنائية Constructivism تؤكد على العامل القيمي أو العقيدي على عكس الواقعية والماركسية، وبالتالي سوف يكون هناك استقبال كبير لمشروعات مثل مشروع الحضارة الذي أسسته وجاهدت من أجله د.نادية.

أما الناحية الثانية المتعلقة بمشروع العلاقات الدولية فهي معرفة كيف يمكن لتحليل التاريخ الإسلامي أن يسهم ويغني ويثري نظرية العلاقات الدولية؟ وكنت اتمنى أن أرى دراسة عن أهمية التجارة في نشر الإسلام؛ ليكون الأسهام ليس فقط على مستوى معرفي أو فلسفي ولكن على مستوى عملي تنفيذي لإثراء نظرية العلاقات الدولية.

وبخصوص الناحية الثالثة وهي موجودة في المشروع وتتمثل في الأمة كمستوى للتحليل اعتقد أنه لابد من الاهتمام بها وتقويتها أكثر، وتفتيتها ومعرفة كيف يتخذ القرار فيها؛ لأن نظرية العلاقات الدولية في حاجة إليها. وبالتالي نتجاوب ونشترك مع الاهتمامات الحالية للنظرية الدولية. وأخيرًا ألف مبروك للدكتورة نادية وألف مبروك لنا جميعًا وشكرا.